بسم الله الرحمن الرحيم

لا عدوى

١٦ / ٥ / ١٤٤٢هـ

في التناهي شطط.

إن المرء المسلم يسير إلى الله باعتدال، فلا تَنَاهِيَ ولا شطط، وخير الأمور الوسط، ولا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا خُلُو، وهكذا ديننا هو خير الأديان وأقومُها وأعدلُها، فلذا كانت هذه الأمة أكبر انعكاسات هذا الدين، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ البقرة: ١٤٣.

نظرة التشريع إلى الأسباب.

ولما كان الدين تشريعًا لا يخالف العقول، ولا يأتي بما تستحيله المدارك جعل للأسباب ميزانًا واعتبارًا، وللنتائج مقدماتٍ وارتباطًا، فلا شيء موجودٌ من الخلق إلا له سبب لوجوده -إلا ما شاء الله - ولا سبب في هذا الكون إلا والله خلقه وأنبته، فهنالك خالق عظيم، خلق الأسباب وأوجد نتائجها.

أسباب بلا نتائج، ونتائج بلا أسباب.

ولما كانت قدرة الله أعظم من كل قدرة، وإرادةُ الله تمحق كل إرادة، أوجد نتائج ولكنها بلا أسباب أو مقدمات! كما أوجد أسبابًا ومقدمات ولكنها منزوعةُ النتائج!.

فمن قدرة الله العظيمة أن خلق عيسى وهو نتيجة، ولكنَّ خلقَه إياه كان من أعجب الخلق، إذ أوجده من غير الأسباب التي يعرفها البشر، فكان عيسى كلمتَه العظيمة، فأوجده من غير أب، وأعجب منه آدم إذ أوجده من غير أم ولا أب﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾آل عمران: ٥٩

وكذلك من قدرة الله أن يُحَصِّل المرءُ كلَّ سبب للوصول إلى الغاية فلا يكتب الله له ما أراده، لأنه سبحانه هو الأكبر، وهو المتعالي في خلقه وتدبيره الأقدر، فلربما مكث المرء مع زوجه سنين عددًا في تحصيل الولد، ولا يكتب الله له الولد:﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ الزمر: ٦٢ .

ومن هنا يستفيد المؤمن أن ترك التوكل على الله واللجوء إلى مجرد الأسباب قدح في المعتقد، والتوكل على الله مع ترك فعل الأسباب قدح في العقل.

الأسباب وإن ضعفت إلا أن قدرة الله تكملها.

وتأمل كيف أمر الله مريم مع ضعفها: امرأةٌ عَوَانٌ، في حالة الولادة، ولو شاء الله لأطعمها من السماء كما أطعم أمها في المحراب، إلا أن الله أمرها بفعل أدنى سبب للتحصيل، فقال: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ مريم: ٢٥، وما يغني هزُّ جذعٍ صَلْب مع يد امرأة في أضعف أطوارها؟! ولكنه أدبٌ علَّمه الله خلقه أن يفعلوا السبب ولو قل، مع تعظيم وتفخيم جناب التوكل عليه.

الأمراض الانتقالية.

ومن الأمور التي جعل الله لها سببًا: تفشي الأمراض والجوائح، ولله في ذلك تدبير عجيب، إذ جعل من الأمراض ما يكون معدوم العدوى، ومنه ما هو محصور العدوى، ومنه ما يكون وباء جائحًيًا يأكل من عليها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ الزمر: ٢١.

عوائد الجاهلية في النظر للعدوى.

وكان للجاهلية اعتقاداتٌ وتخرصاتٌ وتكهناتٌ ما أنزل لها بها من سلطان، ومن ذلك: أنهم كانوا يرون أن

العدوى تنتقل بذاتها، وكأنها خارجة عن خلق الله وتدبيره، -تعالى الله عما يقولون ويعتقدون- ولما كانت العدوى من أمر الله، لا تنفك عن قدرته ومشيئته أنكر النبي ﷺ على المشركين عدم معرفتهم ذلك، وأنكر إناطة العدوى بذاتها دون مدبرها وخالقا فقال ﷺ:"لا عدوى"[1].

فإنكار النبي ﷺ للعدوى هو إنكار للموروث الجاهلي السائد ذلك الوقت، فمعنى لا عدوى، أي: لا صحة لاعتقاد المشركين من كون العدوى تنتقل بنفسها وطبعها دون أمر الله وإرادته.

"فهذا ليس نفيًا لوجود العدوى؛ لأنها موجودة، ولكنه نفيٌ للتأثير، فالمؤثر هو الله"[2]، والعدوى لا تأثر بطبعها دون الله تعالى.

نظرة التشريع إلى الأمراض الانتقالية.

وقد جاءت أحاديث كثيرة تثبت انتقال المرض من العليل إلى الصحيح، بل وجاءت أحاديث تأمر باتخاذ التدابير الوقائية الصحية للتحجير على المرض وعدم

---

(١) متفق عليه

(٢) القول المفيد (٢/ ٨٠) بتصرف يسير.

انتشاره، فقال ﷺ:"فر من المجذوم فرارك من الأسد"[1]، قال ﷺ:"لا يُورد مُمْرضٌ على مُصِح"[2]، أي: لا تُورَد الإبلُ المريضةُ على الإبل الصحيحة فتمرضها.

وهذا من الأدلة التي تدل على عقلانية الإسلام، وأخذِه بالوقائع والمجريات والأسباب المعتبرة.

ومن ذلك الحَجْر الذي فرضه النبي ﷺ على أرض الأوبئة فقال عن الوباء:" إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تَخْرُجوا فِرارًا منه"[3]، فسبحان من أنطق نبيه وعلمه، وسبحان من قال عنه﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم: ٣ – ٤، فكم أفاد عقلاء العالم اليوم من هذه القاعدة الشرعية العظيمة، بينما رأينا تخبط الدول الرأسمالية في الجوائح والإحن، لتغليبهم الشح بالمال على الشح بالأنفس والصحة.

فاللهم زدنا يقينًا بشرعك، وإيمانًا بكتابك

---

(١) رواه البخاري

(٢) رواه البخاري

(٣) متفق عليه

الخطبة الثانية:

الحمد لله...

فعل السبب لا يقدح في المعتقد.

عباد الله. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾الطلاق: ٢ – ٣، في هذه الآية بيانُ عظيمِ أمرِ فعلِ السبب مع التوكل على الله، إذْ قدّم فعل السبب فقال:﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾، ثم ذكر عاقبة المتوكلين ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾، فهما جناحان لجسد، وجُمِعا في قوله ﷺ:"اعقلها وتوكل"(١).

فترك التوكل وتضخيمُ السبب إنما هو فعل الغرب المادي الجاحد، وتركُ السبب بالكلية، وزعمُ فَرَطَ التوكل إنما هو فعل بعض المتصوفة المخرفة.

والمؤمن يسير إلى الله بعقيدة التوكل، وعزيمة السبب، فيتوكل على الله في طلب الرزق، ويقول مع ذلك: "دلوني على السوق"(٢).

---

(١) رواه الترمذي

(٢) قالها عبدالرحمن بن عوف، كما في صحيح البخاري.

أخذ الأسباب الوقائية في جائحة كورونا.

ونحن إذا نحمد الله كثير الحمد، ووافر الشكر إذْ جعل بلادنا في تعاطيها مع الجوائح من أرقى بلدان العالم، إذ مدّت يد الإنقاذ والاستجلاء لمواطنيها على أي مكان في أرجاء المعمورة، ولم تزل بحمد الله تبذل من الأسباب الوقائية للتعامل مع الجائحة ما يرفع البلاء بحول الله، في وقتٍ باتت فيه الدول المتقدمةُ في آخر الركب متأخرة، والدولُ الصاعدةُ في جناب عطاء المملكة مُتَقزّمة، وتُكشفت النوايا عن خفايا عشنا زمنًا كدنا نصدق تزويقَ عباراتِهم ونَجْرَعُ كيلَ اتهاماتِهم.

فالحمد لله، لا نحصي ثناء على الله، وعلموا من شكر النعم التهيؤ لها بفعل أسبابها، فبادروا إلى فعل الأسباب الوقائية، وأخذ التطعيمات الوقائية، فهي سبب مشروع، والفاعل مأجور عن الشر ممنوع.

ولا حول ولا قوة إلا بالله

عاصم بن عبدالله بن محمد آل حمد